## المحاضرة الثامنة: النظريات الدلالية وفهم النّص.

### أهداف المحاضرة:

**الهدف الخاص:**

- أن يبرز أهمية النظريات الدلالية في تحليل النّصوص.

**الهدف الإجرائي**

- أن يطبّق النظريات الدلالية على مختلف النصوص.

**تمهيد:**

لقد كان لنظرية "دي سسير" البنيويّة كبير أثر في بلورة مبادئ حديثة لدراسة الظواهر اللّغوية طرحت تساؤلات حاولت تيارات مختلفة الإجابة عنها، خصوصا فيما يتعلّق بجوهر الكلمات ومحيطها، إذ يرى لفيف من الباحثين أنّ "دي سوسير" قد أبعد منهجه عن الخوض فيها. تلك التيارات حملت سماه العلميّة الموضوعيّة مصوّبة دراستها حسب أهدافها، تجاوزا لما توقّف عنده وتوسيعا لمباحث الدّرس اللساني، فتوالدت من ذلك دراسات لغويّة متوالية خصوصا وأنّ اللغة ديناميكية تأبى الثبات لأنّ العلامات اللّغويّة تكتسي دلالات جديدة من لحظة إلى أخرى ومن سياق إلى آخر وكذلك النّظام اللّغوي. لهذا، شغلت قضية اللّفظ والمعنى حيّزا واسعا من أبحاث علماء اللّغة.

## 1. من اللسانيات إلى علم الدلالة:

لقد رأى "ميشال بريال (M.Breal) أنّ القوانين التي تنتظم تغّير المعاني للألفاظ موضوع مهم ينبغي تصويب الدّراسات إليه، فكان علم الدلالة (Semantics) فرعا وليدا من اللّسانيات يُعنى بالأبعاد الدّلالية للألفاظ والعبارات اللّغويّة ورحلة نظامها التّطوريّة. حيث اعتُبر طرحه تجاوزا لما توقفت عنده اللّسانيات في دراستها لشكل العلامات اللّغوية على حساب ديناميكيتها. ولأنّ هذا المصطلح خرج للوجود على يده، نجده يوضّح بدقة ماهية هذا العلم بقوله: "إنّ الدّراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية، بحيث لم تسمَّ بعد، لقد اهتم معظم اللّسانيّين بجسم وشكل الكلمات، وما انتهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغيّر المعاني وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أنّ هذه الدّراسة تستحق اسما خاصا بها، فإنّنا نطلق عليها اسم (السيمانتيك) للدّلالة على علم المعاني"[1]. لعل محاولات "بريال " لتوضيح الأطر الكبرى لعلم الدلالة التي طرحها في أبحاثه تكشف عن ماهية وهدف وغاية هذا علم، تتبعها الباحث "منقور عبد الجليل" في كتابه وهي على التوالي:

**أوّلا:** إذا كانت اللّسانيات تهتم بشكل الكلمات، فإنّ علم الدلالة (السيمانتيك) يهتم بجوهر هذه الكلمات ومضامينها.

1 منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دار الكتاب الحديث ط1، 2010، القاهرة، ص ص14، 15.

**ثانيا:** الهدف الذي ينشده علم الدلالة هو الوقوف على القوانين التي تنتظم تغيّر المعاني وتطورها، والقواعد التي تسير وفقها اللّغة، وذلك بالاطّلاع على النّصوص اللّغويّة قصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محدّدة وفي هذا سعي حثيث إلى التّنويع في التّراكيب اللّغويّة لأداء وظائف دلالية معينه.

**ثالثا:** اتّباع المنهج التّطوري التّأصيلي الذي يقف على ميلاد الكلمات ويتتبّعها في مسارها التاريخي؛ فالنّظام اللّغوي، نظام متجدّد مادامت الكلمات لا تخضع لقانون ثابت يلزمها بمدلولاتها.[2]

هذه النّقاط الثلاث التي بيّن بها "بريال" منهجه الخاص في الدّراسة الدّلاليّة، توضّح لنا غايته في توسيع المعادلة اللّغوية التي حدّدتها اللّسانيات بشكل العلامات اللّغوية، من خلال إضافة شقٍّ ثانٍ يهتم بجوهرها ووظائفها الدّلاليّة؛ فلئن كانت اللّسانيات قد اهتمت بالعلاقات التي تنتظم بها العلامات اللّغوية داخل النّظام اللّغوي الكلّي بعيدا عن الوجود الفيزيقي الذي تصاغ فيه، فإنّ "بريال" قد جعل الأطر الكبرى للدّرس الدّلالي تهتم بما تم إبعاده؛ أي دلالة العلامات اللّغوية وتغيّرها وتطوّر نظامها اللّغوي من أجل الوعي بلغة بيئة معينة وأصلها ورحلتها الزّمنية ومن ثمّ الوعي الثّقافي العام الذّي يعبّر عنها، ولن يكون ذلك عبثا إلاّ بتتبع المدونات اللّغوية ومعاينة النّصوص الاجتماعية لأجل ضبط المعاني ووضع القواعد الدّقيقة التي تسير وفقها اللّغة والأدوات الإجرائية التّحليليّة العلميّة؛ لأنّ التّراكيب اللّغويّة - كما صرّح- تؤدّي وظائف دلالية خاصة. هذا يستلزم أنّ تتبّع التّغيّر الدّلالي للعلامات اللّغوية مهم في الدّراسة الدّلالية لأنّ شكل العلامة اللّغويّة ليس المعيار الوحيد لمعرفة معانيها بل الوقوف على القواعد التي تنتظم تغيّر معانيها هي التّي تساعد على ذلك، لأنه يهتم بدراسة الأسباب الفكرية التي أدّت إلى تغيّر اللغة[3] .

أمّا بخصوص التّفريق بين اللّسانيات وعلم الدلالة لدى "بريال"، يبيّنه الباحث "محمد محمد يونس علي" بقوله: علم الدلالة "يُعنى بتحليل المعنى الحرفي للألفاظ اللّغوية، ووصفها، ولا تقتصر اهتماماته على الجوانب المعجمية من المعنى فقط بل تشمل أيضا الجوانب القواعدية، وكذا فإنّ مباحثه لا تقتصر على معاني الكلمات فقط، تشمل أيضا معاني الجمل، وإن كان اللّسانيون يميلون في فترة ما قبل الثمانينيّات إلى الاقتصار على معالجة المعاني المعجميّة للمفردات فقط دون أن يتطرّقوا تطرّقا كافيا للعناصر القواعدية، وبنى الجمل..."[4] من هذا القول يظهر لنا أنّ اللّسانيات لم تبعد المعنى كليّة وإنّما اهتمّت بالمعنى المعجمي

---

2 المرجع نفسه، ص ص15، 16.

3 Breal Michel, Essai de semantique (science des significations), librairie Hachette Boulevard Saint-germain, Paris,1897, "j'étudie les causes intéllectuelles qui ont présidé à la transformation de nos langues"p5.

4 محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص17.

للعلامة اللّغوية، ذلك أنّ ارتباط الدّال بالمدلول في صورة اعتباطية يحيل بالضرورة إلى معنى أو تصوّر في الذّهن، إنّما الذي اهتم به "بريال" هو القوانين التّي تنتظم تغيّر دلالات تلك العلامة اللّغويّة. كما أنّه لم يبتعد عن المنج الوصفي في الملاحظة والمعاينة والاستنباط أثناء دراسته للتغيّر الدّلالي للألفاظ وما ينتج عنه.

إنّ الهيكل النّظري الذي رسم معالمه "بريال" كان بالاستناد على نتائج سابقيه من علماء اللّغة، والنّقطة الجوهريّة التي أغفلها أولئك هي التي هيّأت للبحث الدّلالي، واهتمام المعاصرين به جعل الدّائرة تتّسع لتأسيس لَبِنَات حديثة لهذا العلم أكثر وضوحا، سواء من ناحية الماهية والتّنظير أو من ناحية الإجراءات المنهجيّة والتّطبيق، كلّ على حسب وجهته المعرفية ومنهجه، ولعلّ توالي أبحاث الدّارسين في محاولة إيجاد مفهوم عميق يستوفي موضوع هذا العلم الوليد، جعل الدّرس الدّلالي الحديث يدخل ضمن الإطار البنيوي الوصفي لاهتمامه بالمعاينة والتّفسير والنّظرة العلمية الموضوعية. وجدير بالذكر، أنّ"هذا العلم لم يبدأ في التّطوّر على نحو جدّي بوصفه فرعا مستقلا من فروع اللّسانيات إلاّ في القرن العشرين، وكان تطوّره في السّنوات الأخيرة على وجه الخصوص أكثر نجاحا بفضل تزايد أعداد المهتمين بمشكلاته، واكتساب آفاق نظريّة أكثر رحابة، واستخدام إجراءات منهجية أكثر كفاءة"[5]. وقد توالد عن ذلك عدّة نظريات تختلف في تحديد مفهوم المعنى. ولأنّه يهتم بحياة الكلمات وتطوّرها التّاريخي، "اعتقد بعض الباحثين أنّ علم الدلالة ظهر من رحم المنهج التّاريخي بل إنّ منهجه أصلا هو المنهج التّاريخي"،[6] لكنّه في الوقت الرّاهن بات ينحو المنحى الوصفي، فعلم الدّلالة فرع مهم انبثق من رحم اللّسانيات يرتكز على الملاحظة والاستنباط، حيث نجد اهتمامات علماء اللّغة منصبّة حول طرق دراسة المعنى التي تنطلق من الأساس العلمي الموضوعي.

## 2. النظريات الدلالية:

بعد "ميشال بريال" ألّف الباحثان أوجدن وريتشاردز (Ogden. Richards) كتاباً عنوانه: (The meaning of meaning) أو (معنى المعنى) عام 1923، محاولة لتأسيس نظريّة العلامات والرّموز، وما قاما به كان تأكيدا لأهمية العوامل الخارجيّة في تحديد معاني الكلمات، فخلصا إلى مثلث دلالي يصف العلاقة التي ينبغي أن تكون عليها العلامة اللّغوية، فإذا كانت الأخيرة لدى "دي سوسير" نتيجة ترابط الدّال (الصورة الصوتية) بالمدلول (التّصوّر الذهني)، فإنّ الباحثان أدخلا عنصرا إضافيا هو المشار إليه الذي يعكس معنى الأشياء في الواقع الخارجي عن طريق الرّبط بين العناصر اللّغوية وعالم التّطبيق غير اللّغوي، وهذا أساس

---

5 ميلكا أيفتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة،ط2، 2000، ص361

6 صلاح الدّين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى، ص58.

تسمية نظريتهما بالنّظرية الإشارية ( theory of reference) [7]؛ فإلى جانب التّرابط بين الدّال والمدلول الذي يحدد المعنى بالنّسبة لـ"سوسير"، هنالك مرجع يشير إلى الوقائع الخارجية التي أُخذت منها العلامة اللّغوية معناها، وهذا لا يعني تفكّك الوحدة اللّغوية بين (الرّمز والمعنى)، "إنّما العلاقة بين الرّمز ومعناه ومرجعه لهي الانتظام، بحيث إنّ كل رمز يقابله معنى معيّن، وكل معنى يقابله مرجع معرّف ومحدَّد."[8] ومن ثمّ، الدّال يحيل عبر المدلول-بطريقة غير مباشر- على الموجود الخارجي غير اللّغوي أو المرجع.

فبالنّسبة لهذه النظرية، يتحدّد معنى العلامة اللّغوية وفقا لما يعكسه الواقع؛ ذلك أنّ الألفاظ تخضع لقالب الإشارة إلى المحيط الذي أنتجها، الأساس الذي يحدّد تصوّرنا الخاص للعالم، وفي هذا حديث عن "الدلالة الاجتماعية" التي تحمل طابع الجماعة اللّغوية الخاصة حسب ما يمليه الاستعمال والفهم، لأنّ الدلالة الوضعية supposition- العلاقة التي تربط اللّفظ بما يشير إليه في الخارج ويدل عليه- تعلّل ذلك التّوافق الذي ربط الدّال بالمدلول وإلاّ كيف وُجدت العلاقة بينهما وقامت وهي علاقة حاضر بغائب؟ خصوصا ونحن نتحدّث عن الأشياء عند غيابها وارتفاعها أكثر مما نتحدث عنها في حضورها[9]. لأجل ذلك، أصبح للمرجع أهميّة كبيرة في إبراز الدّلالة وتأكيدها. والخط المتقطّع بين الرّمز والمشار إليه (referent)، يدلّ على أنّ العلاقة بينهما غير مباشرة وأنّ الإشارة إلى الخارج تكون عبر المدلول (signifiant)؛ الوسيط الرّابط بينهما والمتحقّق في الذّهن الذي يعكس الموجود في الواقع[10].

هذا من شأنه حفّز نظرية أخرى على فرض رأيها في ساحة الدّراسة الدّلاليّة، قامت بنقد النظرية الإشارية لتضع تصوّرها الخاص المبني على تجريد كل ما يخرج عن الذّهن، معتبرة المعنى الحقيقي لعلامة لغويّة معيّنة

---

7 ينظر: بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص52.

– وقد أكّد ذلك الباحث: "علي زوين" بقوله : "فالدّلالة من شأنها دائما أن تكون ذات صبغة مؤسسة: بمعنى أنّها لا توجد إلا في جماعة معينة من المستعملين لها." منهج البحث اللغوي بين التراث، ص25. وقد بيّن ذات الباحث أنّ النظرية الرئيسية لهذا العلم تمثّل بالمثلث الدلالي. الذّي يوضّح لنا العلاقة بين الفكرة والكلمة والشيء، ينظر: المرجع نفسه، ص89.

8 تودوروف وآخرون، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر : عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، طبعة مزيدة ومنقحة، 2000، ص110.

9 ينظر، المرجع نفسه، ص 27.

– كما أشار الباحث "أحمد مختار عمر" إلى أمثلة ضربها مؤيّدو هذه النظرية التّصورية التي وضعها جون لوك john lock، منها: إذا قلنا (منضدة) فكلٌّ من المتكلّم والسّامع يملك التّصوّر للمنضدة وهذا التّصور يجعل الاتصال بينهما ممكنا. لكن هذا يقتضي أنْ تكون الفكرة:

أ. حاضرة في ذهن المتكلم

ب. المتكلّم يجب أن ينتج التعبير الذي يجعل الجمهور يدرك أنّ الفكرة المعينة موجودة في عقله في ذلك الوقت.

ج. التّعبير يجب أن يستدعي نفس الفكرة في عقل السّامع. علم الدلالة، ص ص57، 58.

10 look: c.k Ogden and I.A.Richards, the meaning of meaning, united states of America,1989, p13.

هو ذلك التصوّر الدّاخلي الثّابت في الذّهن، حيث أرجعت كل شيء للعقل وربطت الأفكار بالتصوّرات دون النّظر فيما يشير إليه الواقع، وقد اعتُبِرَ "جون لوك" (John locke) رائد "النّظرية التّصوريّة" إذ لا معنى خارج التصوّر الذّهني. وبناءً على النّظريتيّن السّابقتين (الإشارية والتّصوريّة)، صرّح "بلومفيلد" (Bloomfield) بأنّ دراسة المعنى من أصعب الأمور إذا ما ارتبط بالجانب العقلي وما يجري داخله من تصوّرات وعمليّات ذهنيّة؛ لأنّه من المحال ملاحظتها مباشرة السبب الذي يعيق قياسها ومن ثمّ دراستها دراسة علمية، واعتبر الجانب الوحيد الممكن دراسته هو السّلوك الناجم عن ردود الأفعال التي يُحْدِثُها الفرد استجابة لمثير طبيعي ما. من هذا اعتَبر المعنى "إشكالا كبيرا وضعفا عميقا في دراسة اللّغة دراسة علميّة مقارَنة بحقول وظواهر تُمارس عليها تجارب مخبريّة وقياسيّة"[11].

لكن من المحال القول إنّ (بلومفيلد) في نظريته السلوكية (behavioral theory) قد أبعد المعنى عن الدّراسة، إنّما خصّص حيّز دراسته للمعنى في الجانب المرتبط بالسّلوك الظّاهري، حيث أكّد أنّ المعاني اللغوّية تعدّ أكثر أهميّة من المعاني غير اللغوية[12]، وقد بيّن الباحث "أحمد مختار عمر" أنّ موقفه اتّجاه دراسة المعنى كان نقدا للنظريّتين السّابقتين (الإشاريّة والتّصوريّة)؛ "فالأولى تربط المعنى بالموجودات الخارجيّة، و يرى بلومفيد أنّنا لكي نعطي تعريفا دقيقا للمعنى على أساس هذه النّظريّة بالنّسبة لكلّ صيغة في اللّغة (لا بد أن نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلّم لكن المعرفة الإنسانيّة أقل من هذا بكثير)، أمّا الثّانية فتربط المعنى بالأفكار الموجودة في عقول المتكلّمين والسّامعين، وقد سبق أن قلنا إنّ بلومفيلد كان يتشكك في كل المصطلحات الذّهنية ويركّز على الأحداث الممكن ملاحظتها فقط"[13]. وبالتّالي اهتمت هذه النظريّة بما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة بالعين المجرّدة، بالتّركيز على الاستجابات اللّفظيّة النّاتجة عن المثيرات، من هذا الفهم يكون المعنى ناتجا عن ردود الأفعال.

هذا من شأنه فتح المجال لتيارات لغوية أخرى يعكسها نفس المنحى الوصفي لدراسة المعنى، منها نظريّة التطوّر الدّلالي، إذ راح دارسو الدّلالة الغربيّة يبحثون فيها. يقول الباحث "أحمد مختار عمر": "تساءل كوهين (cohen) في صدر كتابه (the diversity of meaning) قائلا: هل يتغيّر المعنى؟ ثم أجاب قائلا: إنّ نفس الكلمات -بسبب تطوّر اللّغة خلال الزّمن- تكتسب معنى آخر، وتشرح فكرة أخرى، وعلى هذا فإنّ ما

---

11 منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص112.

12 Leonard bloomfield, languge, USA, 1933, p144: "linguistics meanings are more specific than the meanings of non- linguistics".

13 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص26.

نعنيه بتغيّر المعنى، هو تغيير الكلمات لمعانيها"[14]. فوجدوا أنّ التّغيّر الذي يصيب العلامة اللّغويّة تقف وراءه ظروف خارجية تُغيّر العلاقة الدّلاليّة القائمة بينه وبين معناه، ما يُخل بنظام المعجم اللّغوي ككل؛ وبالتّالي تغيّر المعنى يُعدّ تغيّراً لميول المجتمع بشكل عام، حيث لخّص ذات الباحث الأشكال المختلفة التّي يأخذها تغيّر المعنى:

أ. **توسيع المعنى**: ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السّابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل.

ب. **تضييق المعنى**: ويعني ذلك تحويل الدّلالة من معنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها.

ج. **نقل المعنى**: أو تغيير مجال الاستعمال، ومن أشكال انتقال المعنى ما يعرف باسم (انحطاط المعنى) أو ابتذاله وعكسه (رقي المعنى). مثل كلمة (رسول) كان لها معنى الشّخص الذي يُرسَل في مهّمة ما، ثمّ صارت لها هذه الدّلالة السّامية التي تألفها الآن.

د. **المبالغة**: اعتبر Ulmann المبالغة من أشكال تغيّر المعنى وعدّها مسؤولة عن تلك الشّعارات المذهبيّة والاصطلاحات الخادعة التي تستغّلها أجهزة الدّعاية أسوأ استغلال حتى أنّها لا تلبث أن تؤدي إلى عكس المقصود منها، كما في نحو قولك: هو سعيد بشكل مخيف، ورائع بكل بساطة. ومثل هذه التّعبيرات الصّارخة سرعان ما تفقد جدّتها وقوّة التّعبير فيها، حتى تصبح مبتذلة بالية، ثم تخلفها وتحل محلّها تعبيرات أخرى[15].

من زاوية أخرى، أشاد علماء اللّغة بأهمية التّطور الدّلالي للنّظام اللّغوي ذلك أنّ "دارس التّطوّر الدلالي في لغة من اللّغات يستعرض أمامه (فيلما) من الأحداث التّاريخيّة لتلك الأمّة التّي تتكلّم بهذه اللّغة، وتلقى دراسته ضوءا قويّا عن تطوّر حياتها الاجتماعيّة، لأنّ دلالات ما ننطق به من ألفاظ تتضمّن كلّ ما لدينا من فنون وعلوم وحروف ومِهَن، وكلّ مظاهر حياتنا العامّة والخاصّة".[16] هذا يعني أنّ تتبّع التّطوّر الدلالي مهمّ في الدّراسة الدّلاليّة حينما يُعنى بدراسة القواعد التي تحكم بنية لغويّة في فترة زمنية معينة، مع الالتفات إلى التّطوّرات التي تصيب نظام اللّغة والمسار الذي تسلكه العلامة اللّغويّة حتى وصلت إلى المجال المعرفي الذي يحتويها والوظيفة التي تؤديها داخله، أمركزية أم هامشية، فاللّغة ذات طابع ديناميكي مرن ينأى بها

---

14 علم الدلالة، ص166.

15 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ص243-250.

16 إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، المكتبة الأنجلو مصرية، ط5، 1984، ص ص 123، 124. فهذه الطّفرة اللّغوية ناتجة عن الاستعمال اللّفظي المختلف من جيل إلى جيل، والألفاظ "إذا أورثتها الأجيال النّاشئة واتخذتها أيضا للتّعامل والتّبادل لم ترثها على حالها الأولى، بل ترثها مع بعض الانحراف في الدّلالة، ثم يتضخم ذلك الانحراف على توالي الأجيال". المرجع نفسه، ص135.

عن الثبات لمدى الزمن، السّبب الذي يجعلها عرضة لعوامل خارجية عديدة تُغيّر بناءها الدّاخلي من جميع المستويات، والتّغيّر الذي يصيب جانبا منها يؤدي إلى تغيّر النّظام اللّغوي بأكمله.

بالإضافة إلى ما سبق، يُصيب التّغيّر الدّلالي غير المعلّل العلامات اللّغوية بطفرة دلاليّة لتقع في المشترك اللّفظي كأن تستعمل البيئة اللّغوية معنيين بصيغة دلاليّة منفصلة فتبقى الدّلالة القديمة في هذه الحالة إلى جنب الدّلالة الجديدة، وهنا يفرد الباحث"إبراهيم أنيس" مثالا بقوله: "فحين تؤكّد لنا المعاجم العربيّة أنّ كلمة (الأرض) تعني الكوكب المعروف، وتعني أيضا (الزّكام)، وحين يُقال لنا إنّ كلمة (اللّيث) هي الأسد وهي أيضا (العنكبوت)، لا نكاد نجد تفسيرا معقولا إلاّ بالالتجاء إلى تلك الطّفرة الوراثية"[17]، ويُرجع الباحث السّبب إلى سوء الفهم؛ لأنّ الفرد اللّغوي يُخطئ في الاصطلاح على مدلول الشّيء على نحو المتعارف عليه، فترثه الجماعة اللّغويّة على نحوه غير الصّحيح لتصبح طفرة وراثيّة غير معلّلة. لكن هذه الأخيرة لا تؤخذ على العام ففي الغالب تحتفظ العلامة اللّغوية الجديدة بمعناها الأصلي لكنّ النّسق اللّغوي يفرض عليها دلالة مخصوصة. ولعلّ معرفة التّطوّر الدّلالي الذي يصيب نظام اللّغة يبقى مرهونا بالنّقطة الزّمنيّة التي تحدّد المدوّنة المروم دراستها؛ ذلك أنّ "دراسة المعنى: تُدرس من النّاحية الوصفيّة، فندرس معاني الكلام في لغة من اللّغات في فترة من فترات استعمالها في مكان محدد، وتُدرس من النّاحية التّطوريّة، فندرس تغيّر معاني الكلام في لغة من اللّغات من عصر إلى عصر من مراحل تاريخها"[18]، هذا الوجه الثّنائي الذي يحكم اللّغة لا غنىً عنه في فهم نظام لغة معيّنة.

وقد توصّل الباحث "منقور عبد الجليل" إلى جملة من النّتائج نراها مهمّة في حديثنا عن التّغيرّ والتطوّر الدّلالي، مركّزا في ذلك على الاستعمال الحقيقي والمجازي للعلامات اللّغويّة في رحلتها الزّمانية، معتبرا أنّ الدّراسة الدّلاليّة تهتم بها وتعتبرها مبحثا خصبا من مباحثها، لخّصها فيما يلي، مبيّنا مفهوم "كلّ من الدلالة الحقيقيّة" و" الدّلالة المجازيّة":

- أنّ صورة الدّلالة الجديدة، تحمل سمات الدّلالة القديمة بحكم أنّها كانت دلالة أصليّة حلّت مكانها الدّلالة المجازيّة التي قد تنزاح أمام حكم الاستعمال اللّغوي لتنقل إلى مجال دلالي آخر.

---

17 إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص136.

18 محمود السّعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص 262. لذلك يركّز جان بيرو: أنّ خصائص اللّغة ترتبط بعاملين أساسيين: الأوّل أنّ كل لغة هي نظام من الأدلة، والثّاني أنّ كل لغة تتحقّق في إطار اجتماعي يحدّد وظيفتها وتطورها. يُنظر: اللّسانيات، تر: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، 2001، ص114.

- أنّ دلالة المجاز لا يمكن أن نتصوّرها على أنّها دلالة جديدة تنفصم كلّيا عن الدّلالة الأصليّة، وإنّما يبقى المجال الدّلالي للفظ المجاز يحتفظ بخيط-مهما دقّ- يربطه بالمجال الدّلالي للّفظ الحقيقي.

- أنّ العلاقة التي تربط الدّلالة الحقيقيّة بالدّلالة المجازيّة، لا تخرج عن تلك الأنساق الدّلاليّة العامة التي تربط الدّال بمدلوله، فالبحث في دلالة المجاز هو بحث في معنى المعنى. إذ إنّ مدلولا أو لا (وهو الدّلالة الحقيقيّة) يقود إلى مدلول ثانٍ (وهو الدّلالة المجازيّة).

- أنّ المجاز يعدّ مبحثا خصبا لعلم الدّلالة، إذ فيه تتجلّى مُرونة النّظام اللّغوي وانفتاحه على كلّ تغيّر للمعنى، وهو يؤكد من جانب آخر على مطاوعة اللّغة لأسباب التّعبير التي يفرضها الموقف ويتم في صلب النّظام اللّغوي استحداثه أنظمة إبلاغيّة جديدة تحافظ على نقل الرّسالة الإبلاغية، وهي غاية ما يرمي إليه أي نظام لغوي[19].

بالإضافة إلى هذه النّقاط المهمّة التي لخّصها الباحث فيما يتعلّق بالدّلالة الحقيقيّة والدّلالة المجازيّة، نجده يشير إلى نقطة مركزيّة اهتم بها علم الدّلالة الحديث واعتبرها مبحثا أساسيّا من مباحثه، هذه النّقطة هي المجال الدّلالي والأنساق الدّلاليّة؛ حيث ظهرت نظريّة دلاليّة مهمة في الدّرس الدّلالي الحديث هي "نظرية الحقول الدلاليّة" (Theory of semantic fields)، فأهميّة المجال الدّلالي أو ما يُصطلح عليه بالحقل الدلالي تكمن جمع مختلف الوحدات المعجميّة في حقل دلالي يحكمه معنى أساسي مركزي، مع بيان نوع العلاقة التّي تربط بين تلك الوحدات هذا من شأنه يسهّل على الباحث إدراك هذه العلاقات، وإيجاد الكلمات التي تعبّر عن غرضه بدقّة[20].

إنّ الحقل الدّلالي (semantic field) أو الحقل المعجمي (lexical field): هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللّغة العربية: فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتظم ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر[21]. ومن خلاصة الباحث "منقور عبد الجليل"نستنتج أنّه يشير إلى أنّ تصنيف دلالة معيّنة تصنيفا مجازيا أو حقيقيّا يعود إلى الأنساق الدّلالية التيّ تحكم المجال الدّلالي، بحكم الاستعمال اللّفظي والتّغيّر الدّلالي الذي يطرأ عليه، ذلك أنّ العلامة اللّغوية في دلالتها المجازية تبقى محتفظة بمعناها الحقيقي لكن بتصنيف سياقي جديد، لذلك لا يمكن إغفال أهميّة السّياق الدّلالي الذي يعدّ من بين الأسس المهمة التي تقوم عليها الدّراسة الدّلاليّة، الأمر الذّي

---

19 منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص ص65، 66.

20 محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط2، 2007، ص125.

21 ينظر: محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى ، ص80.

أدّى إلى ظهور "النظرية السياقية"(contextual theory) على يد رائدها "فيرث" (firth)، فالسّياق يُعتمد عليه لمعرفة الدلالة الحقيقة أو لتتبع المسار الذي تسلكه العلامة اللّغوية في تغيّر معناها. لهذا، فلكل علامة لغوية مدلولها السّياقي الذي يؤكده بناء النّص. يقول أحد الباحثين: "إنّ البِنية النّصيّة وليدة عدّة سياقات ومرجعيات مختلفة، خلقتها واكتسبت عناصرها اللّغوية علاقات خاصة جعلت النّص كلّا موحّدا، يحاول المحلّل النّصي الوصول إليه باكتشاف هذه السّياقات والإلمام بها حتى يستطيع تأويل وفهم العلاقات الكامنة فيه؛ لذا اكتشاف التّماسك النّصي له علاقة وطيدة بالسّياق الذي خلقه، والمتلقي الذي يكتشفه ويظهره"[22]. أي أنّ السّياق يعد أحد أهم أسس علم الدّلالة الحديث لأنّ للعلامة اللّغوية معنى مخصوص حسب موقعها من التّركيب اللّغوي *.

لا شكّ في أنّ اختلاف المقاربات ووجهات النّظر لتحديد مفهوم دقيق يستوفي أبعاد علم الدلالة، جعل مفهوم المعنى يزداد صعوبة، فكلّ منطلق يتبنى مفهوما خاصا، لعلّ هذا هو السّبب الذّي يقف وراء تعدّد النّظريات الدّلاليّة، وعلى الرغم من أنّ أغلبهم في الوقت الرّاهن يتفق على "أنّ الموضوع الأساسي لهذا العلم هو (المعنى)، ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة له حتى قال بعضهم إنّه بدون معنى لا يمكن أن تكون هناك لغة، وعرّف بعضهم اللّغة بأنّها: معنى موضوع في أصوات"،[23] إلاّ أنّ كلّ نظريّة حاولت جاهدة تقديم مفهوم يخدم هدف دراستها، غير أنّ الانتقادات الموجّهة لها جميعا جعلت المحاولات غير كافية والتّحديد غامض، ومن الملامح المتباينة التّي رسمها علماء اللّغة أضحى المعنى يعبّر عن أقسام عديدة جمعها "أحمد مختار عمر" فيما يلي:

- "**المعنى الأساسي** وله عدة تسميات كالأوّلي أو المركزي، ويعرّفه نيدا بأنّه المعنى المتّصل بالوحدة المعجميّة حينما ترد منفردة.

- **المعنى الإضافي** أو الثّانوي وهذا النّوع من المعنى يكون زائدا على المعنى الأساسي يتغيّر بتغيّر الثّقافة أو الزّمن، كما كلمة (غنم) تشير إلى معنى الانقياد... وكلمة (نحلة) معنى النّشاط وغير ذلك.

- **المعنى الأسلوبي**: وهذا النّوع من المعنى يكون خاصا على نحو ما تمليه البيئة والظروف الاجتماعية على مستعمل اللغة.

- **المعنى النّفسي**: هو المعنى الذي يخرج من الفهم الجماعي المشترك لدلالة الألفاظ إلى الفهم الذّاتي النّفسي ومنه تحصل انعكاسات دلالية خاصة تؤدي إلى تباين في فهم اللّفظ من شخص إلى آخر.

---

22 الطيب العزال قواوي، الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، العدد8، الجزائر، ص63.

23 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص5.

- **المعنى الإيحائي**: وهذا النّوع من المعنى يتعلّق بالكلمات ذات المقدرة الخاصة على الإيحاء، ذلك أنّ المعنى الأساسي الأكثر شيوعا غالبا ما يترك أثرا إيحائيا إلى المعنى الجديد ما يُنتج تعددا في المعنى الأساسي."[24]

كما نجد في الكتب الحديثة، الكثير من الباحثين ينطلقون ممّا لخّصه الباحث "أحمد مختار عمر" حول هذا العلم في كونه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشّروط الواجب توفّرها في الرّمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى، فقد وضّح بإيجاز الماهية الدّلاليّة من وجهة أنظار المتتبّعين لهذا العلم برؤى منهجيّة مختلفة، ولأنّ علم الدّلالة يعدّ فرعا من علم اللّغة وأحد أهم مستويات التّحليل اللّغوي بل مركزها على الإطلاق، فإنّنا نجده يهتم أكثر شيء بالجانب اللّغوي، ومع ذلك يرى بعض الباحثين أنّ المعنى ينقسم إلى قسمين أساسيين هما: المعنى اللّغوي والمعنى غير اللّغوي، لهذا نجد ذات الباحث في بيانه لموضوع هذا العلم يشير إلى ذلك؛ أي بصيغة أخرى علم الدلالة يهتم بأيّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز سواء أكانت لغوية كالكلمات والجمل، أو غير لغوية كالإشارات والإيماءات والتّرقيم والتّنغيم وغيرها[25]. ومهما يكن من حال، فإنّ الجانب الأخير منها -غير اللّغوي- لا يُعدُ أساسيا كما الأوّل اللّغوي إنّما يعتبر مُعِينًا على تحديد المعنى الأساسي فحسب. ومن ثمّ نؤكّد أنّ **علم الدّلالة الحديث "يغلب عليه الأسلوب الوصفي البحت: تنظيم الدّراسة اللّغوية لفترة زمنيّة محدّدة، ومراعاة المفهومين التّاليين**:

1) المفهوم الذي يعدّ الكلمات علامات (Sings) أي وحدات لها وظيفة رمزيّة.

2) ووجهة النّظر القائلة بأنّ اللّغة نظام متكامل أو تركيب (structure) يتضمّن عناصره، الكلمات التي تحدّ بعضها البعض الآخر"[26].

---

24 أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ص ص40،36.

25 ينظر، المرجع نفسه، ص ص11، 12.

26 علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1986، ص86.